الجزيرة العظمى

ونجوى صريع

رَفَل العالم في ثوبِ السرور زمناً وابتسمت فيهِ الثغور
وصفتْ بالسلم اوقاتُ المنى وسرتْ رُوحُ التصافي بيننا
فانا مثلُكَ بل انت انا
لم يكن ثمة صدٌّ ونفور لا ولا الاقليمُ تالٍ وتغور
قد تركنا كل ضيفنٍ وعداه افويقٌ ما ترى او ضعفاه
كلنا في نظر العلم سواه
انفسٌ في عالم الحق تنيرْ مُنشئت ارواحها ذرات نورْ
يتطايرن على وجه البسيطْ تلك لولاها لما شعَّ المحيطْ
أتقدرها لماذا تستشيطْ
لم تجد من مصلح حرّ غيور يخلاف رأيهُ عقبى الامور
فهو اما طائش لم يعرفِ او خبيثٌ جائرٌ لم ينصف
او مليك لم يجد من يصافي
خانهُ الجدُّ وحفتهُ الشرورْ وعليهِ قلتْ الدهر يدور
مثلما دارت رحى هذه الحروب واستوت في شرها كلُّ الشعوب
فمن الغرب الى اقصى الجنوب
ومن الشرق شمالاً ستثورْ وهي في البر مجالٌ والبحور
لم تشاهد اختها فيما مضى سُجِّرتْ براً وبحراً وفضا
اقضاة في امِّ فوق القضا
عثرةٌ جاء بها الفكرُ العثورْ فتجدّاً طوراً واحياناً يفور
تائهٌ ضلَّ ولمّا يهتدِ ما رأى فيما رأى من مرشدِ
فغدا في يومهِ مثل غدِ
هائماً فيهِ حشاً وبكورْ لم يجد للعثرةِ الكبرى غفورْ
كبرت عثرتهُ من ان تقال وهو قد اوقدها حرباً سجال
انما غفرانها فرضٌ محال

عبراً نقرأ ام تلك سطور ادهشت كل سياسي فكور
كيف لا تذهب في الرب العقول انها موضع شكٍّ وذهول
وقعةُ الغربِ أو اليوم المهول

أترى مرّت قرون ودهور مثلما مرت بنا هذي العصور
كانت الحرب اذا اشتد الكفاحْ بسيوف وقسيٍّ ورماح
ما تعدت غير ذياك السلاح

وهي لا تنقضُ بنياناً ودور ولها منا جزاءٌ وشكور
أترى رمحاً وسيفاً ينتضى ام ترى ناراً وبرقاً اومضا
لا ترى اليوم سلاحاً ابيضا

عاد سيّاً على سر العصور لا تراهُ او ترى اهل القبور
نسيت تلك ولما تذكر انما يذكرُ صنع «موزر»
ما عدا المخترع المبتكر

هكذا جاد بها رب الشعور وبدت سافرة بعد الستور
فغدا في الحرب صوت المدفعِ هاتفاً يا ايها الحصن اركعِ
وانزعي يا نفس او فادّرعي

ليس تحميك قلاع وصخور لا متاريس ولا يعصم سور
لم يكن بعدُ وفاق ووئام فلتطب «لاهاي» في قصر السلام
تنظر العالم مختل النظام

أتبقني كل غوّالٍ نحور ان تُرى النفس طعاماً للنسور
او تُرى طافحة فوق البحور تحذوها بدلٌ اللوح جسور
عبرة قد خلقت ام للسبور

نفسٌ ماجت كما ماج الاثير فهي لا تنفكُ كالجرم المنير
مرة يخفق واخرى يظهرُ وهو يطوى مثلما ينتشرُ
لماذا به لا نعتبرُ

وعسى نسلمُ من فتك الغرور فلقد ضاقت وسيعات الصدور
كيف لا تخرج بالضيق النفوس او ما سُيّرت الحرب الفروس
أفلا تخشى على الدنيا العروس

حسرات النفس من بعد النفير وذراء النبت من حر الزفير
وتعود الارض قاعاً صفصفاً لا ترى ثمة قصراً مشرفاً
لا ولا اندية او تحفا
اترى تهدمها ايدي الدثور بعد ما شيدت صروحاً وقصور
بنيت كلٌّ بشكل هندسي ما تراءت قبل في اقليدس
وتعالت كالرفيع الاطلس
أبرجٌ ضمت شموساً وبدور فهي كالارض حواليها تدور
لم تقف يوماً عن السير السريع تحف العالم من كل صنيع
كيف قد فاجأها الخطب الفظيع
فغدت ثابتةً بعد المسير وتلاشت وهي ارسى من ثبير
ودهى العالم شرُّ الفتن فالترى في الارض مثل المدن
قد تساوت في الشقا والمحن
تركتها الحرب في ادهى الامور انما تلك التجارات تبور
اترى كم مختبر او معمل لم يجد ملتمساً للعمل
كيف قد اقرفع السبل
وغدا الناس بشرٍّ مستطير مترعٌ فيه فضيٌّ ونقير
من ترى سعّرها حرباً زبون اكلت نيرانها دور القرون
وهي لم تبقِ قلاعاً وحصون
لم تذر فرداً ولا جمعاً غفير لا فتى كهلاً ولا شيخاً وقور
أكذا تقضي نواميس الاله تصبغُ الارض دماء الابرياء
انقاذاً بعد ذياك الماء
تلكمُ الحرب او الشر الخطير انتطفى هي بالنور المطير
فترى القائد في اجناده واعتلى الطيارُ في منطاده
وطغى البحريُّ في طراده
سابحاً يلثمُ انواءَ البحور ماضياً في عزمةٍ ما ان تخور

النجف الاشرف محمد باقر الشبيبي